الاستلزام الحواري في حوار الأنبياء والرسل في القرآن الكريم

(نماذج مختارة)

إعداد

علياء محمد محمد خليل

توطئة:

اهتمّ القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بالحوار، وضرب لنا نماذج متعددة ومتنوعة، كالحوار بين الله سبحانه وتعالى وملائكته حول خلق آدم عليه السلام. والحوار الذي تم بين بلقيس – ملكة سبأ – وقومها حول فحوى خطاب سليمان عليه السلام كذلك الحوار الذي تم بين إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام حين أراد أن يذبحه تنفيذاً لأمر الله. كما نجد أنّ القرآن الكريم حفل بحوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، كحوار نوح ولوط وصالح وهود وشعيب وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وكثرة الحوار في القرآن الكريم تدل على أهميته الشديدة فى سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل.

إن موضوع الحوار فى القرآن الكريم من الموضوعات الهامة التى تدور أساسا على الإيمان بالله ورسله ، وعلى وحدانيته وأحقيته بالعبادة دون غيره ، والإيمان بالبعث والجزاء ، فهذه المواضيع من أهم مواضيع القرآن الكريم ، لهذا كانت موضع جدل وحوار.

فالقرآن الكريم بشموليته لم يترك لنا باباً إلاّ وقد تناوله بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي حاج بها خصومه في صورة جلية واضحة يدركها الداني والقاصي، الجاهل والمتعلم، العام والخاص، معطلاً كل شبهة، بأسلوب واضح وتركيب سليم لا يحتاج إلى إعمال الذهن في المسألة المطروحة، لأنه يذكر لنا الحقائق ويقررها بوضوح فيلمسها لإنسان بنفسه دون عناء.

وقد وضع القواعد وأصَّل الأصول لحل جميع القضايا، ومن أهمها الحوار القائم على العقل لا على القوة كوسيلة إلى التعامل مع المخالفين مع أن القرآن يعترف بها كعقوبة للمصرين على الباطل بعد وضوح الحق وهي وسيلة نهائيه لإعادتهم إليه.

الكلمات المفتاحية: الحوار، التواصل، السياق، المتلقي.

Introduction:

The Holy Qur’an pays great attention to dialogue, and presents many and varied models for us, such as the dialogue between God Almighty and His angels about the creation of Adam, peace be upon him. And the dialogue that took place between Bilqis - the Queen of Sheba - and her people about the content of Solomon's speech, peace be upon him, as well as the dialogue that took place between Abraham and his son Ismail, peace be upon them both, when he wanted to slaughter him in implementation of God's command. We also find that the Holy Qur’an is full of the dialogue of the prophets, peace be upon them, with their people, such as the dialogue of Noah, Lot, Salih, Hud, Shuaib, and other prophets, may blessings and peace be upon them. And the abundance of dialogue in the Holy Qur’an indicates its great importance in order to achieve truth and nullify falsehood.

The topic of dialogue in the Holy Qur’an is one of the important topics that mainly revolve around belief in God and His messengers, and on his oneness and entitlement to worship without others, and belief in resurrection and recompense. The Holy Qur’an, in its comprehensiveness, did not leave a chapter for us except that it dealt with it with conclusive evidence and clear proofs that its opponents argued with in a clear and clear image that is understood by everyone who is near and far, the ignorant and the educated, the public and the private, dissolving every suspicion, in a clear manner and a sound composition that does not require the realization of the mind in the matter at hand, because it He mentions the facts to us, decides them clearly, and touches them to a person himself without trouble. He set the rules and originated the principles for resolving all issues, the most important of which is dialogue based on reason, not force, as a means to deal with violators, although the Qur’an recognizes it as a punishment for those who insist on falsehood after the clarity of the truth, and it is a final means to return them to it.

Keywords: dialogue, communication, context, recipient.

يعد الاستلزام الحواري أحد أهم المفاهيم التي تقوم عليها اللسانيات التداولية، وهو ظاهرة مرتبطة باللغات الطبيعية الصادرة عن الإنسان، و يمثل إحدى خصائصها الأساسية . إن التحاور مرهون بالتواصل الذي يتم بين شخص وشخص آخر، وكل منهما يحاول إيصال رسالة معينة من خلال ما يتلفظ به، و"ظاهرة الاستلزام تؤسس لنوع من التواصل يمكن وسمه بالتواص conversational) (implicature الحواري" غير المعلن"(الضمني)، بحجة أن المتكلم يقول كلاما ويقصد غيره، كما أن المستمع يسمع كلاما ويفهم غير ما سمع[١]

فالمتكلم قد يقول كلاما ويقصد به معنى آخر، غير ما يوحي به كلامه حرفيا، كما أن المستمع يسمع كلاما ويفهم معنى آخر من كلام المتكلم. يشكل "الاستلزام الحواري حلقة وصل بين المعنى الحرفي الأصيل والمعنى المتضمن في شكل الجملة، ويعد من أهم جوانب البحث التداولي الذي يعول على السياق في معرفة المعنى.[٢]

ففهم الكلام وتأويله من قبل المستمع أو المخاط بالسياق، لأن هناك ظروفا معينة ينتج من خلالها الخطاب، لابد من مراعاتها عند القيام بعملية التأويل لمعرفة معنى ذلك الخطاب. و " الكثير من العبارات اللغوية، إذا روعي ارتباط معناها بسياقات إنجازها، لا تتحدد فقط فيما تدل عليه صيغها الصورية، لذا يلزم إيجاد تأويل آخر ملائم يحتم الانتقال من معنى صريح إلى معنى مستلزم.

---

[١] العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني) من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين، ص١، الضابطة لها(، دار الآمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط١، ٢٠١١ــص٧.

[٢] محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية)دراسة المفاهيم و النشأة و المبادئ) مكتبة الاداب، ط١، ٢٠١٣، ص٨٨.

والانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم هو من صميم المقاربة التداولية و الوظيفية للخطاب الأدبي، وهو يفض ي بنا إلى الحديث عن مفهوم المعاني الصريحة و المعاني الضمنية. [١]

يرتبط الاستلزام الحواري بنظرية الأفعال اللغوية عند "أوستين" و "سيرل"، كما يتعلق أكثر بالدلالات البلاغية الضمنية التي يستلزمها السياق الكلامي، والمعنى الضمني ينقسم بدوره إلى قسمين: معنى عرفي يتعلق بالاقتضاء (الإحالة) والاستلزام المنطقي (الدلالة المنطقية)، ومعنى حواري ينقسم كذلك إلى معنى خاص (الاستلزام الحواري)، ومعنى معمم. وينتج عن كل هذا أنماط من الأفعال حسب أوستين، وهي: فعل التلفظ، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري. ويشمل فعل التلفظ الفعل الصوتي والفعل التركيبي، أما الفعل القضوي، فيتفرع إلى الفعل الإحالي والفعل الحملي. أما الفعلان الإنجازي والتأثيري، فلا يختلفان في مقترح سيرل عنهما في مقترح أوستين اختلافا كبيرا. ركز الباحثون البراغماتيون وعلى رأسهم "غرايس" على ما يلزم من معنى الكلام معنى آخر بقطع النظر عن حال الخطاب وقرائنه، ويتحقق هذا إذا كانت صحة الثاني شرطا لصحة الآول، وهي ظاهرة عامة تشمل كل كلام مهما كان، ومن أمثلة ذلك:

باع زيد منزله: يقتضي أنه كان يملك منزلا
فرح عمرو بالهدية: يقتضي أنه أهديت له هدية

الملاحظ من هذه الأمثلة هو هذا الاقتضاء في إنشاء الخطاب، والذي يعني اللزوم العقلي الذي يحصل بين معنى وآخر، وينتمي عند العرب إلى الدلالة العقلية أو ما سماه عبد القاهر الجرجاني" بمعنى المعنى. وله أكثر من تطبيق في البلاغة

---

[١] العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني)من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين ، ص١، الضابطة لها(، دار الآمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط١، ٢٠١١ــص٧-٨-١٥.

وأهمها هو الكناية كما بيّن ذلك البلاغيون. فكل كلام في الواقع يقتض ي شيئا آخر غير ما يدل عليه في الوضع[١]

والمتكلم في كثير من الآحيان لا يصرح بما قام به أو ما ينوي القيام به لأسباب مختلفة خاصة به. كما ركز البراغماتيون المحدثون على الكلام الذي يمكن أن يستنتج من معناه اللفظي أكثر من معنى بحسب أحوال الخطاب وقرائنه، ومثال ذلك:

شخص أحس بالبرد في مكان فقال:

- لا أريد أن أبقى في هذه الغرفة
- أو شغل المدفأة من فضلك
- أو أغلق النافذة
- أو هذه الغرفة ليست مجهزة بمدفأة

وهذا كله تعريض يلمح به صاحبه بأنه مصاب بالبرد في هذا المكان، فالمتكلم يلمح إلى شيء لا يريد أن يصرح الاستلزام الحواري هو أحد أبرز المفاهيم التداولية، والتي تعود أولى بداياته إلى أعمال الفيلسوف اللغوي "بول غرايس (H.P.Grice 1913 م- ١٩٨٨ م) الذي يعد أول المنظرين " لهذا المفهوم في الدرس التداولي الغربي الحديث من خلال مؤلفه "المنطق والمحادثة"، فقد لاحظ بأنّ المتخاطبين عندما يتحاورون يتبعون عددا معينا من القواعد الضمنية اللّازمة في أثناء تواصلهم.[٢]

وأنه في حالة ما إذا وقع خلل في تلك القواعد فلا يتمّ ذلك التواصل ولإثبات نظريته هاته وضع غرايس مبدأ عاما سماه "مبدأ التعاون"؛ يقضي هذا المبدأ بأن

---

[١] عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية) سلسلة علوم اللسان عند العرب (، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ٢٠١٢، ص ٢٣٥-٢٣٨

[٢] فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحبّاشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط ١،٢٠٠٧ ، ص ٨٤

يتعاون المتخاطبون في تحقيق الهدف من حوارهم، وصيغته: "ليكن اندفاعك في الكلام على الوجه الذي يقتضيه الاتجاه المرسوم للحوار الذي اشتركت فيه ".[١]

ويتفرّع عن هذا المبدأ أربع قواعد هي:

١. قاعدة الكم:(maxim of quantity) : وتتفرّع هذه القاعدة بدورها إلى مقولتين هما:

-لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته. - لا تجعل إفادتك تتجاوز الحدّ المطلوب.

٢. قاعدة الكيف (maxim of quality): والقصد منها منع ادّعاء الكذب، وتتفرّع إلى:- لا تقل ما تعلم خطأه. - لا تقل ما ليس لك عليه دليل.

٣. قاعدة العلاقة أو الملاءمة (maxim of relevance): وخلاصتها(ليناسب مقالك مقامك) أي أن يجعل المتكلم كلامه ذا علاقة بالموضوع.

٤. قاعدة الجهة أو الطريقة (maxim of manner): وهي ترتبط بما يراد قوله، وتتفرع بدورها إلى: - لتحترز من الالتباس.- لتحترز من الإجمال.- لتتك لّم بإيجاز - لترتّب كلامك.[٢] ويرى "غرايس" أنّ هذه القواعد هي بمثابة الضوابط لكل عملية تخاطبيه، وعلى الطرفين المتخاطبين الالتزام بما في أثناء الحوار، وفي حالة ما إذا أخلّ أحد الطرفين بقاعدة من هذه القواعد " وجب على الآخر أن يصرف كلام محاوره عن ظاهره إلى معنى خفي يقتضيه المقام، وهذا المعنى المصروف إليه يحصل بطريق الاستدلال من المعنى الظاهر ومن القرائن، وذلك بالذات ما عِبر عنه بالاستلزام التخاطبي او الحواري.[٣]

---

[١] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 20002 ، ص ١٠٣.

[٢] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط ١ 1998 ، ص ٢٣٨. وينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص١٠٠.

[٣] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢ 2000 . ، ص ١٠٤.

مبادئ الاستلزام الحواري:

يعد الاستلزام الحواري من أهم المبادئ البرجماتية اللسانية(التداولية)، ويعني أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام(مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية، وسلامة القول، وقبوله من قائله، وملاءمته مستوى الحوار.[١]

الاستلزام الحواري بهذا المعنى أساسه المحادثة التي تكون بين شخصين، في سياق معين، وبشروط تواصلية معينة، إذ إن العلاقة بينهما هي علاقة تؤطرها محددات اجتماعية وتفاعلية.

وإطار المحادثة، هو إطار نظرية أساسية في التداولية؛ نظرية قوانين الخطاب(أو مبادئ المخاطبةconversational maximes التي أنشأها "بول غرايس"، و هذه القوانين تشكل المبادئ المنظمة لكل محادثة ينبغي على كل متكلم أن يراعيها، و المحادثة باعتبارها عملا اجتماعيا للعلاقات بين البشر، فيي محكومة بمبدأ التعاون الذي يؤسس تأويل معنى الملفوظ.[٢]

إذن هناك مجموعة من القوانين التي يجب أن يلتزم بها المتخاطبون حتى تتم عملية التخاطب، وفي حال مخالفتها وعدم الخضوع لها لا ينجح التواصل بطبيعة الحال وبما أن المبدأ التعاوني في الحوار يعد ركيزة أساسية في التداولية، وأداة مهمة من أدواتها في آن، فإن اتباع قواعده يؤدي إلى نجاح عملية التخاطب، وهذه القواعد هي كالآتي:

١. **الكمية/ الكم:** وتعني أن يقدم المتكلم القدر المطلوب من المعلومات، لا أكثر ولا أقل، وتتعلق هذه القاعدة بمقدار المعلومات أو كمها، لا بصدقها أو ملاءمتها.

---

[١] محمود عكاشة:٢٠١٣: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية(دراسة المفاهيم و النشأة و المبادئ)، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة ص٨٧

[٢] صابر الحباشة:٢٠٠٨: التداولية و الحجاج (مداخل و نصوص)، صفحات للدراسات و النشر، دمشق، سورية، ط١، ص٢٠

٢. **الصدق/الكيف:** وتعني أن يكون المتكلم صادقا، فلا يقدم معلومات خاطئة، أو معلومات لا يستطيع أن يبرهن على صحتها.

٣. **الملاءمة:** وتعني أن تكون معلومات المتكلم ومساهماته ملائمة للحوار، فلا تخرج
عن الموضوع، لأن "لكل مقام مقالا".

٤. **الطريقة:** وتعني أن يكون المتكلم واضحا ومنظما، فيتجنب الغموض والرطانة، ويخاطب الناس على قدر عقولهم وتخصصاتهم وخلفياتهم المعرفية.

هذه هي الشروط الأساسية للحوار، والتي يجب على المتكلم مراعاتها في مجمل الحوارات والتفاعلات الإنسانية حتى يضمن نجاح تواصله.[١]

لقد قام بعض النقاد المهتمين بالتداولية بتطوير نظرية الاستلزام الحواري لـــ"غرايس"، و ذلك لما تحتويه من عناصر حوارية مهمة، و من أشهر أولئك النقاد "هانريش" الذي أضاف بعض التعديلات منها :الجمع بين مبدئي الكم، و الكيف، كما قام "صادك "بتقليص بعض مبادئ "غرايس"، و عالج بعض المفاهيم الخطابية في مبادئ المحادثة عنده، و أضاف معايير أخرى لاختبار هذه المفاهيم، لكن "ويلسون" و "سبرير" نقدا مبادئ "غرايس"، لأنها لا تعالج كل قضايا النصوص الأدبية و القانونية، و أنها بحاجة إلى إضافات لتستوعب نصوص مجالات أخرى، واستثنيا منها مبدأ المناسبة الذي جعلا منه أساس نظرية سمياها "نظرية المناسبة"، وهي تقوم بتفسير الخطاب و ظواهره البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة، وتعد في الوقت نفسه نظرية إدراكية.[٢] وهكذا تم توسيع مجال نظرية الاستلزام الحواري من قبل هؤلاء العلماء، الذين اتخذوا أفكار "غرايس" أساسا لكل ما نظروا له، و إن كان بعضهم قد خالفه في الكثير من التصورات النظرية في مبادئ المحادثة، و قدم بديلا عنها كما هو الحال عند "ويلسون" و" سبرير" على سبيل المثال.

---

[١] بهاء الدين محمد مزيد٢٠١٠: تبسيط التداولية(من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياس ي،) شمس للنشر و التوزيع، ط١،القاهرة، ص٤٠

[٢] محمود عكاشة ٢٠١٣: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية(دراسة المفاهيم و النشأة و المبادئ)، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة ص٩٤-٩٥

جذور نظرية الاستلزام الحواري في الفكر اللغوي العربي القديم:

إن مبدأ الاستلزام الحواري مبدأ راسخ في التراث اللساني العربي، ففي بعض نصوص الفكر اللغوي العربي القديم توجد أفكار مشابهة لما أورده "غرايس" حول قضية الاستلزام الحواري و غيرها من القضايا التداولية، و أبرز مثال على ذلك ما قاله "الرازي": "إن اللفظ إذا وضع للمسمى انتقل الذهن من المسمى إلى لازمه"، و هذا الانتقال يعني عدم وجود الافتراض في معنى الجملة، و لكنه اتصل برابط عقلي أو طبيعي أو اجتماعي، و هو عند "عبد القاهر الجرجاني" معنى المعنى، قال" :إن المعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ .أما معنى المعنى فهو أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفض ي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر.[١]

وهذا ما ذكره "غرايس" عند تحديده لمفهوم الاستلزام الحواري، بأن معنى الكلام يستلزم معنى آخر غير المعنى الصريح لقد كان معظم اللغويين العرب القدماء كابن جني، والجرجاني، وابن خلدون، والسكاكي يربطون اللغة أثناء تعريفها، بالغرض من استعمالها .وينظرون إلى الأغراض بوصفها أساس كل كلام. يقول "الجرجاني": "وجملة الأمر أن الخبر، وجميع الكلام، معان ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض"، ويضيف "والناس إنما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصودة.[٢]

---

[١] محمود عكاشة ٢٠١٣: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية(دراسة المفاهيم و النشأة والمبادئ)، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة ص٨٧-٨٨

[٢] العياشي أدراوي٢٠١١: الاستلزام الحواري في التداول اللساني(من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها،) دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر العاصمة، الجزائر، ص٢٤

بهذا ركز العلماء العرب على القصد من الكلام، وهو ما ذهب إليه "غرايس" من خلال نظرية المحادثة، التي تحدث عنها في مقاله المنشور سنة(١٩٥٧) "منطق المحادثة"، والتي أشار منها خلالها إلى أن كل محادثة من ورائها نية (قصد)، يريد المتكلم إيصالها إلى المخاطب، وقد حدد كيفية الوصول إلى المقصد من الكلام بالاستعانة بمقام الكلام، لم يهتم اللغويون العرب القدماء بدراسة اللغة فقط، و إنما اهتموا كذلك بالمتكلم و أكدوا على أهميته في إنجاز الخطاب، و من أقوى مظاهر اهتمامهم بالمتكلم خطاباته و طاقاته و قدراته اللغوية، فقد تحدثوا عن ثلاثة أنماط من القدرة و هي كالآتي:

١- قدرة لسانية: وتعني معرفة المدلولات معرفة قائمة في النفوس بصورة سابقة عن وضع الألفاظ الدالة عليها، ودليل ذلك يقول الجرجاني: " أنا إن زعمنا أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة، إنما وضعت ليعرف بها معانيها في أنفسها، لأدى ذلك إلى ما لا يشك عاقل في استحالته، وهو أن يكونوا قد وضعوا للأجناس الأسماء التي وضعوها لها لتعرف بها، حتى كأنهم لم يكونوا قالوا: "رجل" و "فرس" و "دار" لما كان يكون لنا علم بهذه الأجناس"

٢- قدرة لغوية: وهي المتعلقة بمعرفة قواعد لغة محددة، إلا أن هذه المعرفة ما تستلزم القدرة السابقة، إذ المتكلم: " لا يكون متكلما حتى يستعمل أوضاع لغة على وضعت عليه."

٣- قدرة خطابية: وهي التي تمكن المتكلم من إنجاز خطابه وتنظيمه تبعا لمتطلبات المقام، ووفقا للمرامي التي يريد بلوغها. وغالبا ما كانوا يحيلون على هذه المعرفة بـــ" الفصاحة "البلاغة" وعلى اعتبار أن "الفصاحة عبارة عن مزية هي بالمتكلم دون واضعي اللغة"، فإن هذه القدرة تستلزم معرفة نسق اللغة التي هي مادتها.[١]

---

[١] العياشي أدراوي٢٠١١: الاستلزام الحواري في التداول اللساني(من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها،) دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر العاصمة، الجزائر، ص٢٣-٢٤

فقد تحدث اللغويون العرب عن القدرة في الكلام، مثلما تحدث عنها التداولين الغربيون، الذين اهتموا بالمتكلم وقدرته في إنجاز الخطاب وتحقيق الهدف منه خلال التواصل، مع مراعاة المقام، فلكل مقام مقال، و لكل حادث حديث، لكن علماء اللغة العرب تحدثوا عن مفهوم القد بمصطلحات مختلفة متباينة كـــ "الطبع "و "البديهة "و "السليقة "و "الملكة"، و مقصودهم بهذه المفاهيم لا يقف عند حدود القواعد النحوية الصرف، و إنما يتعداها إلى قواعد الخطاب أو التواصل.

وإذا تحدثنا عن الوعي البلاغي بمفهوم الاستلزام الحواري عند السكاكي مثلا، والذي يعتبر نموذجا أكثر استجابة لمقتضيات الوصف اللغوي و شروطه، خصوصا من خلال كتابه "مفتاح العلوم"، فبالعودة إلى هذا الكتاب نجد أن السكاكي قد ناقش الكثير من المسائل اللغوية و عرضها بطريقة شاملة لقد قام السكاكي في كتابه ذلك بمناقشة العبارات اللغوية بالنظر إلى بنيتها المكونة لها، و من ثم النظر إلى محتواها الداخلي، بحثا عن الغرض من الكلام، هذا الكلام الذي قد يكون مفردا أو مركبا، و الكلام المركب يفترض فيه أن يكون مطابقا "لمقتضى الحال"، أي لما يجب أن يتكلم له. وفي هذا السياق يقول: "إن التعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورة. لكن لا يخفى عليك حال التعرض لها منتشرة، فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط بتعيين ما هو أصل لها وسابق في الاعتبار، ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئا فشيئا على موجب المساق .والسابق في الاعتبار في كلام العرب شيئا: الخبر والطلب... وما سوى ذلك نتائج امتناع إجراء الكلام على الأصل.

فدلالة الكلام المفرد تختلف عن دلالة الكلام المركب، لأنه في حالة المركب سيكون الكلام دالا على الكثير من المعاني، على اعتبار ارتباطه بمقتضى الحال، في حين أن الكلام المفرد لا يستوعب الكثير من المعاني والدلالات عبارة "تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره" التي وردت من خلال "السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم" تظهر جمعه بين المستوى الدلالي والمستوى التداولي في علم المعاني، وقد اقترح بعض النقاد أن تساغ بنية النحو الثلاثية الأبعاد عند السكاكي على الشكل الآتي:

١- المستوى الصوتي والصرفي والمعجمي: وهو مستوى تؤدي فيه العبارة اللغوية فعلا تعبيريا، صوتيا، صرفيا، معجميا؛ أي المفرد.

٢- المستوى التركيبي الدلالي: وهو مستوى تؤدي فيه العبارة اللغوية فعلا تعبيريا قضويا؛ أي المركب.

٣- المستوى التداولي: وهو مستوى تؤدي فيه العبارة فعلا غرضيا تأثيريا، أي مطابقة الكلام المركب لما يجب أن يتكلم له.[١]

إن المتتبع للخطاب الأسري في النص القرآني يجب أن خطاب الأنبياء حفل بكثير من الأساليب البلاغية التي ظهر فيها الاستلزام الحواري كالتالي:

حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام

جاء الخطاب الأسري في النص القرآني بصور متعددة وسلك طرق مختلفة اقتضاها السياق والآن البحث لا يهدف إلى استقصاء الحوار النبوي في النص القرآني ولقد ورد في أكثر من موضع حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه قال تعالى:

"وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّاوَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا [٢]. فقد وظفت في هذه الأيات الكريمة الأساليب الإنشائية الطلبية جميعها وهي تمثل نوعا من أنواع الالتزام الحواري ففي قول

---

[١] العياشي أدراوي٢٠١١: الاستلزام الحواري في التداول اللساني(من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها،) دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، ط١، الجزائر العاصمة، الجزائر، ص٢٤:٢٨

[٢] سورة مريم الآية ٤١-٤٨

إبراهيم عليه السلام (يا ابت) خرجت أداة النداء (يا) عن معناها الحقيقي ال استدعائي ولفت الانتباه مع التكرار إلى معنى آخر يفيض اللطف في الخطاب والرقة واللين.[١]

فقد تقرر نداء إبراهيم عليه السلام لأبيه أربع مرات كما أن أداة النداء (يا) هي في أصلها تستخدم للمنادي البعيد إلا أنها خرجت عن معناها الظاهر إلى مقتضى الحال فى المستلزمة الحوارية ومقتضى الحال يستدعيان من إبراهيم عليه السلام إظهار اللطف والرقة واللين تحببا من الابن إلى الأب وفي هذا يقول ابن عاشور إن النداء بقوله (يا ابت) أربع مرات تكرير اقتضاه مقام استنزال ه إلى قبول موعظة لأنها مقام إطناب لذلك لم يخاطبه بلفظ (يا أبي) التي تستخدم في النداء العادي العام واستبدل بها لفظا يظهر التكرر لتحقيق هدف إبراهيم عليه السلام بأن يترك أبوه عبادة ما دون الله، أما الاستفهام الإنكاري في قوله (لم تعبد) فقد خرج عن معناه الحقيقي إلى مقتضى الحال وتضمن معنى التوبيخ ويذهب إبن عاشور إلى أن الاستفهام مستعمل في حلقته ومتني به عن نفي العلة المسؤول عنها بقوله (لم تعبد) فهو كناية عن التعجيز عن إبداء المسؤول عنه فهو في التورية في معنيين يحتمل هما الاستفهام، ويظهر الالتزام الحواري في أسلوب الأمر (أتبعني) الذي خرج عن المعنى الحقيقي للأمر من رغبة الانصياع إلى رغبة الإصرار على نصيحة الأب لتحقيق الغاية التي من أجلها أنشأ الحوار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه، وتضمن أسلوب النهي (لا تعبد) المعنى التزامي المتمثل في طب بغيض عبادة الأصنام لأن في قرارة نفوس الناس بغض الشيطان والحذر من كيده. [٢].

ولهذا خرج النهي عن معناه الحقيقي إلى مقتضى حال وقد أفاد معنى الإرشاد والنصح وبعدد من السلسلة عن الأساليب الإنشائية التي وردت في حوار إبراهيم

---

[١] عبد المرضي زكريا، ١٩٩٧: الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ص١٧٦

[٢] إبن عاشور، محمد اطاهر، ١٩٨٤: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١١٤/١٦-١١٦

عليه السلام مع أبيه يتوقع متتبع الحوار أن يكون هناك أجوبة ولكن مقتضى الحال يحمل في طياته المفاجأة وذلك بأن يرد على استفهام باستفهام بقوله (أراغب) والاستفهام هنا أيضا يخرج عن مقتضى الظاهر إلى مقتضى الحال ويفيد معنى جديد مستلزما من الحوار يتمثل في التعجب والاستنكار والتفريع وهو عند الزمخشري ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلاته وأن آلاته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد. [١]

وقد جاء الاستفهام أبيه له فيه عن الغلظة والإنكار بالأرض فالاستفهام بخطابه ب (أنت) التي تؤكد الحضور ولكنه توغل في الإنكار بأن قابل نداء إبراهيم (يا ابت) فناداه باسمه(يا إبراهيم) وفي تأكيد عن الإنكار وهي تكملة لجملة الإنكار والتعجب لأن متعجب من فعله مع حضوره يقصد بندائه تنبيه على سوء فعله كأنه في غيبة عن إدراك فعله ف المتكلم ينزله منزلة الغائب في ناديه لإرجاع رشده إليه.[٢] وفي المقابل وفي علاقة أخرى بين إبراهيم عليه السلام وأبيه يجري حوار بين الأب والابن على عكس الحوار السابق الذي جري بين الابن والأب حيث يختلف هو الانصياع والطاعة المغلفة بالود (يا أبتي افعل ما تؤمر) ليقع الاختيار على آيات من سورة الصافات تحكي قصة الأب الشيخ الكبير الذي رزق بولد على الكبر ليأتي أمر السماء بذبح الابنة والذي ولد وأمه عجوز عقيم بقول سبحانه وتعالى:

" فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ "[٣]

---

[١] جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ١٩٩٨: الكشاف، ط١، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ٢٥/٤

[٢] إبن عاشور، محمد اطاهر، ١٩٨٤: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١١٩/١٦

[٣] سورة الصافات الآية ١٠٢ – ١٠٥

ينشأ الحوار بين الأب والابن ودافع الحوار تربية أمر السماء وقد وظفت عدة أساليب إنشائية كنداء (يا بني، يا أبت، يا إبراهيم) والأمر (أنظر، أفعل) والاستفهام (ماذا) ففي الندائيين (يا بني، يا أبت) تناغم وانسجام ومودة دافعة الانصياع لأمر الله تعالى وقد كانت هناك وقفة سابقة مع (يا أبت) يقابلها نداء إبراهيم (يا بني) الذي جاء هنا بمعناه الحقيقي بما يحمله من عاطفة الأب اتجاه ابنه أما مناداة إبراهيم المسندة إلى الله فتعود إلى إنه سبحانه وتعالى قد أمر الوحي بالمناداة وقد خرجت عن المعنى الحقيقي إلى معنى مستلزم من الحوار اقتضاها الحال وهو عدم تنفيذ فعل الذبح، أما في صيغتي الأمر (أنظر، أفعل) فإن الأمر من إبراهيم عليه السلام خرج عن معناه الحقيقي وهو الانصياع للأمر إلى الإعلام فهو يريد أن يعلم هل يكون أهون عليه وفيه شيء من الاختيار فهو يختبر صبر إسماعيل وعزمه على طاعة الله وقد جاء الاستفهام بعد الأمر (انظر ماذا تري) الذي خرج أيضا عن معناه حقيقي لتحقيق غاية لا تنفيذ تكليف وهو فعلا ذبح فلو كان الأمر معناه حقيقي لا مكن الله له امتثال تنفيذ لذلك حمل أمر التكليف نوعا من الاختيار ليكون الامتثال والانصياع للأمر لله بمحض الإرادة لا يكون التنفيذ قصريا أو مكروها عليه أي أن الأمر خرج إلى معنى مستلزم يتمثل بالمشورة ليكشف موقف إسماعيل ومدى استعداده لأمر الله وليس غريبا أن يكون رده (افعل ما تؤمر) وهو الذي وصفه الله عز وجل بقوله (فبشرناه بغلام حليم) وذلك لأن الأمر تعلق بذات الغلام كان الغلام حظا امتثال وكان عرض إبراهيم على ابن عرض اختيار لمقدار تو اعيته بإجابة أمر الله في ذاته. [١] أما صيغة الأمر افعل تستعمل في الإذن وقد تجنب الابن الاستلزام بالكم فلم يقل اذبحني وإنما المستلزمة الحوارية اقتضت قول(افعل ما تؤمر) وقد جمع بين الإذن وتعليله أي أنا تلك بأن تذبحني لأنك أمرت بذلك.

[١] إبن عاشور، محمد اطاهر، ١٩٨٤: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٥١/٢٣

وبعد إثبات إبراهيم للحق أتبعه بالتهديد بهدم الباطل ومحو آثاره؛ استلزاماً منه لتغيير المنكر أي إنّه سينتقل من الحوار القولي إلى الفعلي وكله ثقة بالله ومحاماة عن دينه، فقال: وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ، وجاء بالتاء الفوقية: وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تَوَلُّوا مُدْبِرِينَ [١]

لأمكرن واجتهدن في كسر أصنامكم وقد قال هذه المقالة سرا من قومه ولم يسمع بها إلا رجل واحد منهم فأفشاه عليه وقال إن سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم وفي دلالة إلزام التعبير بالكي يزان بصعوبة الوصول إلى كسرها وتوقفه على استعمال الحياة لاسيما في زمن مروض على عدوه واستقباله وقوة سلطانه وتهالكه على نصر الدين ويبدو ذلك غاليا في قصة كسر الأصنام كما ورد في القرآن العظيم قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ(٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [٢].

ومعنى يشهدون لعلهم يشهدون عليه بأنه الذي توعد الأصنام بكيت وقد وقع هنا حسب جملة تقتضيها دلالة الاقتضاء والتقدير فأتوا به فقالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا.[٣] فالشك في الفاعل هنا لأن هيئة الاستعمال تكون من منطلق ظروف العملية التخاطبية وحالة المخاطب التي تستدعي النظر في كيفية الأداء وتعلقة بالمعني المستلزم في السياق. [٤]. وفي هذا الاستدلال المستلزم للحوار نوع من الإيماء الذي

---

[١] سورة الأنبياء الاية ٢١-٥٧

[٢] سورة الأنبياء الأية ٦١-٦٧

[٣] الطاهر بن عاشور التونسي1997 التحرير والتنوير Kالدار التونسية Kدار سحنون للنشر والتوزيع Kتونس :

[٤] عبد القاهر الجرجاني، ٢٠١٢: قضايا تداولية في كتاب دلائل الإعجاز، يا رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري نيزي وزو، الجزائر ص١٢٨

هو أبلغ في الدلالة بما يسمح لنا باستذكار البعد السيميائي (نظرية العلامات)، ولكن هذا المذهب مضبوط بالقرائن التي تؤكد وجهة التناول من حيث صدقيتها؛ لأن الأعراف في اجتماع تواصلي معين قد تحدث إرتقامات في خصائص التواصل، ذلك أن عادة المخاطب في الخطاب، وإدراك كلامه، والف المخاطب لسماعه منه تقضي عدم إرادة غير الظاهر، ثم أردفت بإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الدين ثم يزعم دعاة التأويل أن الظاهر غير مراد، مقاولون ظاهر الخطاب على معنى ليس هو محلوله، ولا يشهد له السياق.[١]والاستلزام الحواري يمتاز بكونه يتغير بتغير ظروف توظيف العمارة، فهو ملازم لها في جميع الحالات، ففي قول المولى تعالى على لسان امرأة عمران: إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٢]، فيه استلزام بمقتضى قواعد اللغة تحقق من خلال الإضافة فقوله تعالى : إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ ، تركيب إضافي.[٣] به لأسباب متنوعة كالخوف والاحترام أو عدم الإزعاج أو عدم الجرأة.

ثانياً: حوار سيدنا نوح عليه السلام

من الحوارات الأسرية النبوية حوار سيدنا نوح – عليه السلام – مع ابنه وقد امتاز هذا الحوار بالإيجاز فهو حوار مقتضب، فالسياق الذي يجري فيه لا يحتمل الإسهاب او الاستطراد، لذلك جاء قصيراً، قال تعالى: يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا

---

[١] سعد بولنوار، ٢٠١٢: اليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي تحديدا مفاهيم النظرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص١٦٦

[٢] سور ال عمران الأية ٣٥

[٣] محي الدين الدرويش ١٩٩٩: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير واليمامة، ط٧، دمشق بيروت،، ص٤٢٨

وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا [١]، وظفت في هذا الحوار ثلاثة أساليب إنشائية النداء (يا بني)، والأمر اركب)، والنهي لا تكن). ففي النداء استخدم نوح – عليه السلام – أداة النداء (يا) وهي للبعيد، ليدل على البعد المعنوي وليس المكاني، ويظهر ذلك من قوله تعالى: (وكان في مغزل) ، وقد حمل تصغير المنادى (بني) دلالة الشفقة على الابن فخرج النداء عن معناه الحقيقي إلى المعنى المستلزم من الحوار وهو الإغراء. أما أسلوب الأمر (اركب) فقد خرج عن معناه الحقيقي إلى مقتضى الحال وهو الانصياع وتلبية نداء الأب " وهو كناية عن دعوته إلى الإيمان بطريقة العرض والتحذير، وجملة (يا بُنَيِّ ارْكَبْ مَعْنَا) بيان لجملة (ونادى نُوح ابنه وهي جملة إرشاد ورفق به. [٢]

أما أسلوب النهي (ولا تكن فقد خرج في معناه إلى مستلزمة حوارية معهم فجاء بمعنى النصح والإرشاد. [٣]. وقد نهى نوح ابنه عن الكون مع الكافرين خارج السفينة، ويمكن أن يكون الكون معناه الكون على دينهم والنهي للنصح والارشاد، وفي الحوارين السابقين حوار سيدنا إبراهيم – عليه السلام – مع ابنه، وحوار سيدنا نوح – عليه السلام – مع ابنه يظهر جلياً دور السياق الذي تجري فيه الحوارات، فحوار إبراهيم يكتنفه التمهل والتروي، ويدل على ذلك تكرار يا بني)، في حين أن السرعة تكتنف سياق حوار نوح – عليه السلام حيث إن المقام لم يتح النداء إلا مرة واحدة، ومن ثم يحيل الموج بين المتخاطبين وينتهي الحوار بالسرعة نفسها التي بدأ بها بقوله تعالى: وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ.[٤]

---

[١] سور مريم الأية ٤٥-٤٨.

[٢] إبن عاشور، محمد اطاهر، ١٩٨٤: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس٧٦/١٢

[٣] محمود السيد حسن مصطفى ١٩٨١: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعة– ط١، مصر، ص٢٨٨

[٤] سورة هود الآية ٤٣

ثالثاً: حوار سيدنا يوسف عليه السلام: يمتاز الحوار في سورة يوسف بأنه متعدّد الاتجاهات، وقد امتد على مدار السورة كلها، وتنوعت الأساليب الإنشائية التي وظفت في هذا الحوار؛ وذلك لطبيعة العلاقة بين أطراف المحاورات، فهناك حوار يوسف مع يعقوب عليهما السلام (حوار الابن مع الأب، وحوار الأب مع الأبناء أخوة يوسف)، وحوار الأخوة (يوسف وأخوته) وحوار الأخوة مع بعضهم.

أ- حوار يوسف مع يعقوب عليهما السلام

ابتدأ الحوار في سورة يوسف بين يوسف ويعقوب - عليهما السلام - أي حوار الابن مع الأب، قال تعالى: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ [١]

ومن خلال الآيتين الكريمتين يتبين أن هذا الحوار يجري بمعزل عن الأخوة، فهو حوار أقرب إلى الهمس يكتنفه حب وخوف، الخوف ليس من غريب إنما من قريب يترصد به، ويستهل الحوار بالنداء (يا أبت)، والأب يقابل النداء بالنداء (يا بني) يعقبه نهي (لا تقصص)، وقد كان المتوقع من الأب المبادرة في تأويل الرؤيا، ولكن المستلزمة الحوارية خرجت عن المتوقع فكتم التأويل وأفصح بالتحذير، معللاً بالخوف من كيد الأخوة ونلاحظ أن هذا الحوار من الحوارات القصيرة، لكنه يحمل حقيقة العلاقة بين الأخوة، وقد تضمن أسلوبين من أساليب الإنشاء هما النداء والنهي وقد جاء نداء الابن تمهيدا لما سيخبر به الأب عن تلك الرؤيا " هذا النداء دلالة تتضمن التمهيد من يوسف لإخبار أبيه يعقوب بالرؤيا، إخبارا يكشف دلالة التعجب والدهشة باستخدام خطاب النداء ومناداته بالأداة (يا) التي للبعيد إشارة إلى علو منزلة يعقوب عنده.[٢]

---

[١] سورة يوسف الآية ٤-٥

[٢] علاء الدين غريبة، ٢٠١٤: الجملة الطلابية في سورة يوسف دراسة تركيبية دلالية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٤١، ع١، الجامعة الأردنية، ص٤٠٤

وقد جاء في تفسير روح المعاني للألوسي زعم بعضهم أن الياء أبدلت تاء لأنها تدل على المبالغة والتعظيم.[١]

وفي هذه الحوارات الأسرية التي جمعت بين الأخوة ويوسف عليه السلام – وظفت الأساليب الإنشائية الأمر والنهي والاستفهام وغاب التمني عن حوار الأخوة، وحضر النهي مرة واحدة، وكان موجهاً من يوسف لأخيه بقوله: (فلا تبتأس) بمعنى لا تحزن، وقد جاء هذا النهي من يوسف لأخيه يبث في نفسه الطمأنينة بعد أن عرف بنفسه بقوله: (إنّي أنا أخوك وفيه أيضا تمهيد لما سيقوم به يوسف _عليه السلام . وأما الأمر وهو الأسلوب الأبرز في هذه الحوار. فقد خرج عن معناه الحقيقي إلى معان مختلفة، ففي قوله (ٱئۡتُونِي بِأَخ لَّكُم) خرج عن معنى الامتثال والإتيان إلى معنى ثاني مستلزم هو الترغيب والترهيب، والترغيب يؤكده الاستفهام التقريري في قوله: (تَرَونَ أَنِّي أُوفِي الكيل وَأَنَا خَيرُ ٱلمُنزِلِينَ ٥٩)، والترهيب دلّ عليه التهديد في قوله: (فَإِن لَّمتَأوتِنِي بِهِۦ فَلَا كَيلَ لَكُم عِندِي وَلَا تَقرَبُونِ٦٠)، كذلك الأمر في قولهم: (فَأَوفِ لَنَا ٱلكَيلَ وَتَصَدَّق) خرج إلى معنى الاستعطاف والاسترحام، فجاء فعل الأمر (فَأَوفِ) وعطف عليه فعل أمر آخر (وَتَصَدَّق) فالمستلزمة الحوارية في هذه الآية الكريمة خرجت بهذين الفعلين إلى معنى التذلل وقد مهد لذلك بداية الحوار بالنداء (يَٰٓأَيُّهَا ٱلعَزِيزُ) فالعزيز في تقابلية ضمنية الذليل وقد جاء النداء مُؤكّداً لغايات الاستعطاف فبادروا بقولهم: (إِنَّ لَهُۥ أَبا شَيخا كَبيرا)، وقد متهم الضُّرِّ وجاؤوا ببضاعة مزجاة وأتبع الاستعطاف والتذلل بأمر (فَخُذ) يؤكد ما ذهبوا إليه من إظهار الاستعطاف والتذلل مع الحرص على الالتزام بالعهد الذي قطع للأب، مصحوباً بالالتماس المتسع الخيار (فَخُذ أَحَدَنَا مَكَانَهُ)، وقد أعقب الالتماس حسن التعليل بقولهم: (إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلمُحسِنِينَ) ليتناسب السياق الحواري مع المدح والثناء الذي استهلوا به خطابهم مع العزيز المحسن وقد ذهب الزمخشري إلى أن الأخذ إنما جاء على سبيل "الاسترهان أو الاستعباد".[٢]

---

[١] شهاب الدين محمود الألوسي (د.ت) : روح المعاني في القرآن العظيم السبعة المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٢/١٧٨

[٢] جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ١٩٩٨: الكشاف، ط١، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ٣/٣١١

ب- حوار يوسف مع أخوته ورد حوار يوسف مع أخوته في قاله تعالى: (وَجَآءَ إِخوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيهِ فَعَرَفَهُم وَهُم لَهُۥ مُنكِرُونَ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِم قَالَ ٱئتُونِي بِأَخ لَّكُم مِّن أَبِيكُم أَلَا تَرَونَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلكَيلَ وَأَنَا خَيرُ ٱلمُنزِلِينَ، وقوله تعالى: (وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبتَئِس بِمَا كَانُواْ يَعمَلُونَ ، وقوله تعالى: (قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥ أَبا شَيخا كَبِيرا فَخُذ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلمُحسِنِينَ ٧٨، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئنَا بِبِضَٰعَة مُّزجَىٰة فَأَوفِ لَنَا ٱلكَيلَ وَتَصَدَّق عَلَينَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجزِي ٱلمُتَصَدِّقِينَ قَالَ هَل عَلِمتُم مَّا فَعَلتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذ أَنتُم جَٰهِلُونَ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَد مَنَّ ٱللَّهُ عَلَينَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصبِر فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجرَ ٱلمُحسِنِينَ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَد ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَينَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ قَالَ لَا تَثرِيبَ عَلَيكُمُ ٱليَومَ يَغفِرُ ٱللَّهُ لَكُم وَهُوَ أَرحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٱذهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلقُوهُ عَلَىٰ وَجهِ أَبِي يَأتِ بَصِيرا وَأتُونِي بِأَهلِكُم أَجمَعِينَ [1]

وفي هذه الحوارات الأسرية التي جمعت بين الأخوة ويوسف عليه السلام – وظفت الأساليب الإنشائية الأمر والنهي والاستفهام وغاب التمني عن حوار الأخوة، وحضر النهي مرة واحدة، وكان موجهاً من يوسف لأخيه بقوله: (فلا تبتأس) بمعنى لا تحزن، وقد جاء هذا النهي من يوسف لأخيه يبث في نفسه الطمأنينة بعد أن عرف بنفسه بقوله: (إنّي أنا أخوك وفيه أيضا تمهيد لما سيقوم به يوسف _عليه السلام. وأما الأمر وهو الأسلوب الأبرز في هذه الحوار. فقد خرج عن معناه الحقيقي إلى معان مختلفة، ففي قوله (ائْتُونِي باخ لَكُمْ) خرج عن معنى الامتثال والإتيان إلى معنى ثاني مستلزم هو الترغيب والترهيب، والترغيب يؤكده الاستفهام التقريري في قوله: (أَلَا تَرَونَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلكَيلَ وَأَنَا خَيرُ ٱلمُنزِلِينَ)، والترهيب دلّ عليه التهديد في قوله: (فَإِن لّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْل لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ)، كذلك الأمر في قولهم: (فَأَوفِ لَنَا ٱلكَيلَ وَتَصَدَّق) خرج إلى معنى الاستعطاف والاسترحام، فجاء فعل الأمر (فَأَوْفِ) وعطف عليه فعل أمر آخر (وَتَصَدَّق) فالمستلزمة الحوارية في هذه الآية الكريمة

[1] سورة يوسف الايات (٥٨-٥٩)ـ(٦٩)،(٧٨)،(٨٨-٩٠)،(٩٣)

خرجت بهذين الفعلين إلى معنى التذلل وقد مهد لذلك بداية الحوار بالنداء (يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ) فالعزيز في تقابلية ضمنية الذليل وقد جاء النداء مُؤكّداً لغايات الاستعطاف فبادروا بقولهم: (إِنَّ لَهُ أَبا شَيخا كَبِيرا)، وقد متهم الضُّرُّ وجاؤوا ببضاعة مزجاة وأتبع الاستعطاف والتذلل بأمر (فَخُذْ) يؤكد ما ذهبوا إليه من إظهار الاستعطاف والتذلل مع الحرص على الالتزام بالعهد الذي قطع للأب، مصحوباً بالالتماس المتسع الخيار (فَخُذْ أَحَدَنَا مكانه)، وقد أعقب الالتماس حسن التعليل بقولهم: (إِنّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ليتناسب السياق الحواري مع المدح والثناء الذي استهلوا به خطابهم مع العزيز المحسن وقد ذهب الزمخشري إلى أن الأخذ إنما جاء على سبيل "الاسترهان أو الاستعباد".[١]

نتائج البحث:

بعد عرض الحوار الذى دار بين الأنبياءوالرسل نستطيع أن نتوصل لعدة نتائج منها :

- القرآن الكريم معجز فى حواره وفى الألفاظ التى اشتملت عليها حوارات الأنبياء والرسل.
- جذور هذه النظرية يرجع فيه الفضل إلى علماء العربية القدامى فهم أول من تحدثوا عن االحوار وما يعتري المتلقى من أمور يقوم من خلالها بتفسير الكلمات والألفاظ.
- من خلال الحوار يتضح قصد المتكلم للألفاظ االتى يقصدها ويقوم المتلقى بتفسيرها على حسب المناسبة والسياق التى قيلت فيه وظهر من سياق الحال والمقام.
- الأساليب الإنشائية يتغير معناها خلال الحوار من معنى إلى آخر على حسب ما يقتضيه الحال.

---

[١] جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ١٩٩٨: الكشاف، ط١، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ٣١١/٣

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن عاشور تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس،١٩٨٤
- بهاء الدين محمد مزيد٢٠١٠: تبسيط التداولية(من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياس،) شمس للنشر و التوزيع، ط١،القاهرة
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ١٩٩٨: الكشاف، ط١، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان،
- سعد بولنوار، ٢٠١٢: اليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي تحديدا مفاهيم النظرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة،
- شهاب الدين محمود الألوسي (د.ت) : روح المعاني في القرآن العظيم السبعة المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت،
- صابر الحباشة:٢٠٠٨: التداولية و الحجاج (مداخل و نصوص)، صفحات للدراسات و النشر، دمشق، سورية، ط١
- الطاهر بن عاشور التونسي1997 التحرير والتنوير الدار التونسية دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط ١ 1998 . ،
- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢ 2000 . ،
- عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية) سلسلة علوم اللسان عند العرب (، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة البراجماتية الرغاية، الجزائر، ٢٠١٢

- عبد القاهر الجرجاني، ٢٠١٢: قضايا تداولية في كتاب دلائل الإعجاز، يا رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري نيزي وزو، الجزائر
- عبد المرضي زكريا، ١٩٩٧: الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،
- علاء الدين غريبة، ٢٠١٤: الجملة الطلابية في سورة يوسف دراسة تركيبية دلالية، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٤١، ع١، الجامعة الأردنية،
- العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني)من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين ، ص ١ ، الضابطة لها(، دار الآمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط١، ٢٠١١ـــ
- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحبّاشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ،٢٠٠٧
- محمد الطاهر إبن عاشور ١٩٩٢: تفسير التحرير والتنوير ٤٧/١٣ والقنوجي صديق بن حسن فتح البيان في مقاصد القران ، المكتبة العصرية، بيروت،
- محمود السيد حسن مصطفى ١٩٨١: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، مؤسسة شباب الجامعةـــ ط١، مصر،
- محمود عكاشة: النظرية اللسانية التداولية)دراسة المفاهيم و النشأة و المبادئ) مكتبة الاداب، ط١، ٢٠١٣
- محي الدين الدرويش ١٩٩٩: إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار إبن كثير واليمامة، ط٧، دمشق بيروت.